دراسات الأدب المعاصر، السنة الثامنة، خريف ۱۳۹۵، العدد الواحد والثلاثون: صص ۱۳۵- ۱۴۲

اللغة العربية المعاصرة بين النشأة والتعليم

فاطمه شريف زاده يزدى*

محمد جنتى فر**

الملخص

إن اللغة رموز ملفوظة وإشارات متفق على دلالتها تستعمل للتعبير عن المعانى وهى أوسع من الكلام لأن الكلام يقتصر على الرموز الملفوظة أى الكلمات أو الألفاظ، وهى مؤلفة من مقاطع صوتية أو على الأقل من مقطع صوتى واحدكما فى (لِ) من (ولَى) و(رَ) من (رأى)؛ فهما فِعلا أمر واللغات أحادية الهجاء وفيه تدرج اللغة الصينية ولهجاتها وطائفة من اللغات حامية وسامية، ومنها المصرية القديمة والقبطية واللغة العربية من اللغات السامية والمنسوبة إلى *سام بن نوح*. و أشهر هذه اللغات العربية والسامية والعبرانية. أما الفارسية ليست من اللغات السامية وهى من اللغات الأرية نسبة إلى آريا وهو لفظ يراد به جميع مملكة الفرس مثل لفظ ايران.

الكلمات الدليلية: القراءة، النحو، كيفية التعليم، البلاغة، اللغة العربية، العبرانية، الفارسية، اللغات السامية.

* طالبة الدكتورا فى فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع قم، قم، ايران.

Dehshiri.nima121@gmail.com

** عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية، فرع قم، قم، ايران(أستاذ مشارک).

الكاتبة المسؤولة: فاطمه شريف زاده يزدى

خلفية البحث

لقد كُتبت كتب كثيرة حول اللغة العربية ومنشؤها وفى مقالات متعددة من الأدب واللغة والكتابة والقراءة والبلاغة، لكن هذا المقال يسعى عن بحث شكل اللغة العربية وكتابتها وقراءتها بصورة حديثة لطلاب المدارس وطلاب الجامعات فى البلدان العربية والايرانية حول البحث. إن اللغة العربية عندما جُمعت ودوّنت لم يُعوّل إلّا على ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ الشعر الصحيح الذى كان يُقرأ فى العصر الجاهلى كأشعار *إمرئالقيس* و*النابغة* و*عنترة* كما فى معلقته:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
وإن شفائى عبرةٌ مهراقةٌ　　فهل عند رسمٍ دارسٍ من معوّلِ

(امرؤالقيس، ١٩٦٦: الديوان)

ومن قول *النابغة*:

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى　　حلفتُ فلم أترك بنفسك ريبةً
وتلك التى أهتم منها وأنصبُ　　وليس وراء الله للمرء مذهبُ

(النابغة، ٢٠٠٠: الديوان)

ومن القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿الرحمن ۝ علّم القرآن ۝ خلق الإنسان﴾

والعربية التى نزل بها القرآن الكريم هى القرشية المضرية وكانت للعرب قبل الإسلام لهجات شتى فى أنحاء بلادهم كالحميرية والثمودية والنبطية، وقد دثرت كلها فى الحجاز وعندما دُوّنت هذه اللغة لم يعوّل إلّا على القرآن والشعر كما قلنا، وكلام أعرق القبائل العربية والحكمة بالغة ولقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلغة العرب ولم ينزله أعجمياً كما يقول الله تعالى: ﴿ولو جعلته قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلت آياته أعجمىٌّ وعربىٌّ قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءٌ﴾(فصلت/ ۴۴).

و أيضا: ﴿لسان الذى يُلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾(النحل/ ١٠٣)

نشأة اللغة العربية

إن من المرجّح أن نقول أنّ العربية الأولى تكوّنت مثل غيرها من اللغات، ومن أصول قليلة ثنائية البناء أى مركبة من حرفين، ثم تعدّدت الكلم بإضافة حرف أو أكثر على

الأصل الثنائى وبقلب واحد من حروف الكلمات المزيدة من ثلاثية أو رباعية وبإبدال بعض أحرف الكلم من بعض، وبنحت كلمة من كلمتين أو من جملة وباقتباس كلمات أجنبية(مصطفى الشهابى، مجلة مجمع اللغة العربية، ١٩٥٦م: ١٠).

وهكذا نشأت لغتنا الضادية على مرّ السنين وكثرت ألفاظها وتنوعت معانيها، ثم سارت على سُنّة الإرتقاء وبقاء الأصلح، فماتت لهجاتها وعاشت اللغة المضرية لغة القرآن الكريم وهى اللغة القادرة على الحياة والتجدّد والعبارة عمّا استحدثه الناس و يستحدثونه فى شؤون حضارتهم، وهى باقية ما بقى كتاب الله يُتلى وما بقت الآذان ترفع(المصطلح العلمى فى اللغة العربية، ٢٠١٠م: ٢٨).

وقال بعض العلماء: إن اللغات السامية خاصة تتميّز بها من سائر اللغات المعروفة منها:

١.يتميّز فيها المذكر والمؤنث فى الضمائر والأفعال

٢.تتصل الضمائر بالأفعال والأسماء والحروف

٣.لا يوجد فى اللغة العربية شين بعد لام لأنها تأتى قبل اللام(نفس المصدر: ٢٩)

وقال *الجاحظ* فى «البيان والتبيين»: «إن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف والطاء ولا العين بتقديم ولا تأخير والزاى لا تقارن الظاء»(نفس المصدر: ٣٠ و طاهر بن العلامة الجزائرى، ١٣٣٧ق: ٦٢).

الكتابة العربية

قال *ابن عباس*: «أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهى قبيلة سكنوا الأنبار واجتمعوا ووضحوا حروفاً مقطعة وموصولة؛ وهم *مرامر بن مرّة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة* وأما *مرامر* فوضع الصور وأما *أسلم* ففصل ورحل، وأما *عامر* فوضع الأعجام وسئل أهل الحيرة: فمن أخذتم الكلام العربى؟ فقالوا: من أهل الأنبار»، «وقال: إن الله تعالى أنطق *إسماعيل* بالعبية المبينة وهو ابن أربع وعشرين سنة»(المصطلح العلمى، ٢٠١٠م: ٣٢).

وإنّ نفراً مِن أهل الأنبار من القبائل القديمة وضحوا حروف (الف- ب- ت- ث- الخ ...) وعنه أخذت العرب والذى حمل الكتابة إلى قريش بمكة أبوقريش، وهو *أبوقيس ابن عبد مناف بن زهرة* وقد قيل *حرب بن أمية*(نفس المصدر: ٥٤). وقال *محمد بن اسحاق*: «أول

من كتب المصاحف فی الصدر الأول ویوصف بحسن الخط هو *خالد بن أبی الهیّاج* ولقد رأیت مصحفاً بخطّه»(ابن الندیم، ۱۳۸۴ق: ۴). وقد ذکر الأستاذ *لافیس lavisse* فی مقالة له عن الکتابة وهو ممن یعتقد بأسبقیة الکتابة المصریة للکتابة عن وادی الرافدین أنّ المصریین القدماء اخترعوا لکل کلمة رسماً أو شکلاً معیناً. فتعددت الأشکال والرسوم بتعدّد الکلمات وصار تعلّم الکتابة عسیراً، ثم جعلوا لکلّ مقطع صوتی علامةً صارت بعد ذلک حرفا خاصاً به ونظمت الکلمات من عددٍ محدود من الحروف فتغلب بذلک علی الصعوبة الناتجة من تعدّد الأشکال الدالة علی الکلمات.

والظاهر أنّ الأستاذ *فریمن بتز Butts* یری بأن الکتابة فی العراق القدیم والکتابة فی مصر القدیمة نشأتا متعاصرتین، ویغزو لهما فضلاً کبیرا علی الحضارة الإنسانیة إذ یقول فی ذلک: «قد أصبح التعلیم الإجتماعی أکثر أهمیة عندما بدأ الإنسان یستقرّ فی وادی دجلة والفرات فی العراق ووادی النیل فی مصر، ففی هذین المرکزین إزدهرت الحضارة الإنسانیة من وجوه عدیدة وصارت معقدة إلی درجة کبیرة عندما أتقن الإنسان استعمال البرنز والحدید واخترع وسیلة لتدوین اللغة وهی الکتابة».

أصل اللغة العربیة وقیمتها

اللغة العربیة من اللغات القدیمة وأنها تفرعت من لغة الساميتین الأصلیة. فهی شقیقة اللغات السریانیة کما قلنا قبل و ذکر الأستاذ البحاث اللغوی *ماریو بای* فی کتابه «قصة اللغة»(ماریو بای، ۱۹۶۰: ۲۴۴):

اللغة الصینیة: ملیار ونصف نسمة

اللغة الإنجلیزیة: ملیار نسمة

اللغة العربیة: ملیار نسمة

اللغة الآلمانیة: ۳۰۰ ملیون نسمة

اللغة الفرنسیة: ۵۰۰ ملیون نسمة

ولا شک أن الإسلام قد ساعد کثیراً فی توسیع اللغة العربیة وتهذیبها، وقد بذل کثیرٌ من علماء البصرة والکوفة جهداً فی جمع اللغة من القبائل المتنوعة وصرفها وموازین الشعر فیها ومزایا قیّمة کتبت فیها البقاء والحیویة والإنتشار فی أقطار العالم، وقد منحت

الجامعات الأجنبية مثل جامعات طهران وآزاد الإسلامية ولندن وباريس وشهادات عليا فى دراسة هذه اللغة وآدابها، وتطور الأدب العربى بإهتمامها وقد كتبوا ما لها من قدرة وجوده واتساع الإشتقاق ودقة التعبير عن المعانى وهى تتمتع الآن بمقدار وافٍ من المعاجم الثمينة وكتب النحو والصرف والعروض، بالإضافة إلى تراث قيّم. و*الأب أنستاس مارى الكرملى* قد عبّر عن قِدم العربية وأمومتها للغات العالم فى محاضرة نشرها فى كتابه المعروف «نشوء اللغة العربية واكتمالها» وقال: «لقد لاحظتُ هذا المبدأ وهو كل كلمة ذات هجاء أو هجائين فى اللاتينية ولم تكن من أصل منحوت بل من وضع أصيل فلابدّ من أن يكون لها مقابل لغتنا المضرية»(مارى الكرملى، ١٩٣٨م: ٩٧).

ولقد حافظ العرب على لغتهم وصانوها من أعدائها وقد ألفوا كما قلنا معاجم كثيرة وكتب فى إصلاح الأخطاء اللغوية، ويقال أول من ألّف فى ذلك *على بن حمزة الكسائى* المتوفى سنة ١٩٢ق وهو من نحاة مدرسة الكوفة، وكتب *ابن سكّيت* وهو من الكوفة كتاباً سمّاه «اصلاح المنطق» وكتب *أبوحامد السجستانى* كتاباً بهذا الصدد وكتب *ابن قتيبة* كتابه المعروف «أدب الكاتب» وغيرهم بتأليف الكتب الأخرى.

تعليم الألفباء فى اللغة العربية

هناک لتعليم الألفباء طريقتان: إحداهما الطريقة التركيبية والأخرى الطريقة الكلية؛ فالتركيبية تشمل طريقة الابتداء بالحرف وهى طريقة تعليم حروف الألفباء بأسمائها. فعند تعلّم الحروف بأسمائها يقال ألف، باء، إلى آخر الحروف ثم تعلّم الحروف محرّكة بالحركات الثلاث.

والطريقة الثانية فهى الطريقة الكلية وهى تستند إلى نظرية التعلّم بالكلّ التى قال بها النفسانيون؛ أما سابقتها التعلم بالجزء وهذه الطريقة على نوعين وهما طريقة الإبتداء بتعليم الكلمة والإبتداء بتعليم الجملة، وتسمى الطريقة الجُمليّة فهى طريقة التعلم بالكلمة وقد يتعلّم الطفل صوت حرف واحد من الحروف. ثم يقرنه ويربطه بحرف آخر فى الكلمة نفسها ففى كلمة «عصفور» قد يظنّ الطفل أنّ الصاد هى الفاء فيربط صوت الصاد بها ويكتبها إذا طلب منه كتابة الصاد وفى هذا ضرر بالغ فى التعلّم.

الإنشاء فی اللغة العربیة

فالإنشاء نوعان: تحریری وشفهی؛ وکلاهما جدیر بالعنایة والرعایة وله قیمة تربویة. فإنه من أشق الموضوعات علی التعلیم لأنه عمل فنی یعتمد علی عناصر عدیدة تؤلفه کما یقول *فالیری*: «کل عمل فنی یجب أن یحسب الفنان ولابدّ أن توجد متضمنه فی العمل الفنی»(فالیری، الخلق الفنی: ٢١).

فإلی جانب المقدرة اللغویة یحتاج المنشئ إلی اختیار الکلمة الملائمة فی معناها وموسیقاها، کما یحتاج إلی تألیف المعانی وترتیبها بصورة مترابطة یعزّز بعضها ویمهّد سابقها للاحقها، لیجد القارئ أو السامع من الإستدلال والحجج والروعة ما یکفی لإستمالته واقناعه. ولهذا فمن عیوب الإنشاء أن تکون أجزاؤه مفککة وفقراته متنافرة. فینتج عن ذلک انخزال المعانی وتنافرها وفی هذا المعنی قال کاتب عربی قدیم هو *ابراهیم بن المدبر*(المتوفی سنة ٢٧٩ق) فی رسالة «العذراء»: «إنی سمعت *جعفر بن محمد الکاتب* یقول: لا ینبغی للکاتب أن یکون کاتباً حتی لا یستطیع أن یؤخر أول کتابه ولا یقدّم آخره»(التنوخی، مجلة المعلم العربی، عدد ١: ١٩٤٩م: ٤٥).

ویری *الدکتور عبدالعزیز الفوصی* أنّ أسس الإنشاء النفسیة ثلاثة:

١.التأثر والإنفعال؛ فالإنسان یتأثر ببعض ما یجری حوله أکثر مما یتأثر ببعضه الآخر وهذا الذی ینفذ إلی نفسه ویحکمها ویجعلها تنفعل.

٢.القدرة علی التعبیر: إنّ مجرّد التأثر والإنفعال لا یکفی للنجاح فی التعبیر فقد یتأثر الإنسان وینفعل ولکنه لا یستطیع أن یعبّر عنه فلابدّ من وجود تروية لغویة واسعة المدی دقیقة التمییز تمکّن من تقدیم الأفکار تقدیماً وافیاً

٣.وجود الغرض: فقد یتأثر الإنسان وینفعل ویملک ثروة لغویة واسعة المدی ولکنه لا یکتب ولا یتحدّث لأنه لا غایة له من الکتابة أو الحدیث(یوسف الشیخ، ١٩٥٢م: ٣٢).

القواعد فی اللغة وتدریسها

النحو من الموضوعات العقلیة أی إنّ اتقانه والمهارة فیه یحتاجان إلی إدراک عقلی لعِلله المتفاوتة، ثم تدریب اللسان علی تطبیق قواعده حتی یَسهل تمییزها والإفادة منها ومن المعلوم أنّ التمرین من غیر ادراک للأسباب النحویة غیر صحیح.

التمرين

ولابدّ لدارس النحو من أن ينال قدراً كافياً من التطبيق على كلّ قاعدة درسها، ويستحسن أن يكون التطبيق بعد دراسة القاعدة مباشرة أى قبل أن يمرّ على دراستها وقت طويل يمحو بعض معالمها من الذهن، ويلزم أن تكون الجمل المستعملة فى التمرين شائعة فى معانيها جديدة فى صوغها وملائمة لمستوى الطلّاب العقلى والاجتماعى وتمسُّس حياتهم؛ وممّا هو شائع فى محيطهم قدر الامكان وقد ورد فى كتاب «التعليم العام فى الإتحاد السوفياتى» تأليف *ميدتسكى* أنّ الوقت لتدريس اللغة الروسية والمطالعة فى السبع السنوات الأولى من الدراسة فى الإتحاد السوفياتى يبلغ حوالى ٢٥٠٨ درس وهكذا فى اللغة العربية، والزمن الذى يستلزم لبحثها وتعليمها على أسس خاصة ويذكر كبار الكتاب والأدباء(المصدر السابق: نفس الصفحة).

فليس من المتوقع اتقان المهارات اللغوية لمدة يسيرة وجهد خفيف وتعلّم اللغة شأن تعلّم العلوم الأخرى يعتمد على الموهبة الخاصة ومقدار الجهد المبذول والرغبة فى التعلم. ويقول *الأستاذ وليم ترو* أنّ آفة النحو آتية من جمود النحاة على قوالب من القواعد لا يرغبون فى تبديلها ويطلبون من الطلاب حفظها وتطبيقها(Trow, 1950: 542).

نتيجة البحث

إنّ اللغة العربية هى من اللغات السهلة للتعليم ولا يشوبها شىء، ولكن يجب على أساتذة اللغة والمعلمين ذوى الفن أن يجتهدوا فى انتقالها إلى طلاب الجامعات والثانويات ويلبسونهم ثوب التعليم فى سنين الشباب من النحو والتربية والتعليم والقراءة والكتابة والخط. وأن يتذكروا لهم أنّ الكتابة فى اللغة العربية ليست حديثة بل هى قديمة فى حدوثها والطلاب مستعدون على اتقانها وهى لغة جيدة تحب على تكميلها الفرس والعرب فى القرون الماضية والحال و تدرس فى أكثر جوامع العالم منها جوامع ايران والبلدان العربية.

المصادر والمراجع

اسماعيل، عزالدين. ١٩٦١م، **التفسير النفسى للأدب**، ترجمة وتقديم مصطفى بدوى، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد.

إمرؤالقيس. ٢٠٠٥م، **الديوان**، بيروت: دار صادر.

ترزى، فؤاد حنّا. ١٩٦٢م، **الوسائل السمعية والبصرية المساعدة فى تعليم اللغة العربية**، بيروت: لا نا.

تيمور، محمود. ١٩٥٦م، **مشكلات اللغةالعربية**، القاهرة: لا نا.

الجومرد، محمود. لا تا، **الطرق العلمية لتدريس اللغة العربية**، لا مک: مطبعة الهدف.

الحصرى، ساطع. ١٩٥٣م، **أصول التدريس**، بيروت: لا نا.

الدينورى، ابن قتيبة. ٢٠٠٢م، **أدب الكاتب**، بيروت: دار الكتب العلمية.

الراوى، طه. ١٩٤٩م، **تاريخ علوم اللغة العربية**، بغداد: مطبعة الرشيد.

شريف، بديع. ١٩٤٦م، **اصول تدريس اللغةالعربية**، بغداد: لا نا.

عبدالقادر، حامد. ١٩٥٧م، **المنهج الحديث فى أصول التربية وطرق التدريس الخاصة بفروع اللغة العربية والدين**، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

فاليرى، بول. ١٨٩٦م، **الخلق الفنى**، ترجمة بديع الكلم، بيروت: لا نا.

الكرملى، مارى. ١٩٣٨م، **نشوء اللغة العربية**، لبنان: لا نا.

مجلة المعلم العربى. ١٩٤٩م، «**تدريس الإنشاء**»، عدد ١، ص ٤٥.

ميدتسكى. ١٩٥٨م، **التعليم العام فى الإتحاد السوفياتى**، ترجمة ممدوح اباظة، القاهرة: لا نا.

النابغة الذبيانى. ٢٠٠٠م، الديوان، **غريد الشيخ**، بيروت: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.

ناصف، على الجندى. ١٩٥٧م، **من قضايا اللغة والنحو**، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

وحيد دويدى، رجاء. ٢٠١٠م، **المصطلح العلمى فى اللغة العربية**، دمشق: دار الفكر.

اليسوعى، رفائيل نخلة. ١٩٥٤م، **غرائب اللغة العربية**، حلب: لا نا.

الكتب اللاتينية

William Trow.1950, **Educational Pesychology**, New yourk.

R.Freeman Buttssa, 1955, **Cultural Itis Story Of Westeren**.